

مقدمة مجموع المقالات الرابعة (بيان الحق ورحمة الخلق)

فاتحة خير

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» [من صحيح مسلم].

أمّا بعد: فهذه هي المجموعة الرابعة من مقالاتي التي يسرّ الله جمعها فضله تعالى ثم بهمة الشيخ/ رداد الرّداد، وبلغ عدد المجموع من المقالات حتى الآن مائة وأربعاً وثلاثين مقالة، ونشرت جميعها (وزيادة) في الموقع الذي أسسه باسمي، ليخلف موقعاً قبله أسسه وقام عليه فضيلة الشيخ/ عبد الله الهدلق وفضيلة الشيخ وليد الفنيخ جزى الله الجميع خيراً الجزاء وأجزل لهم الثواب ونصر بهم دينه وأعلى بهم كلمته.

وكما اخترت للمجموعة الأولى عنوان: (الحكم بما أنزل الله فارض عين على كل مسلم)، وللمثانية عنوان: (إنما اليقين في الوحي والفقهاء في الفكر الإسلامي)، وللمثالثة عنوان: (الدعوة والدعاء من شرع الله لجميع عباده)، اخترت للرابعة عنوان: (بيان الحق ورحمة الخلق):

- 1- ليكون العنوان عَلاً على المعنى والغرض المشترك بين جميع المقالات وإن قدر الله أن يكون خاصاً بأولائها.
- 2- ليستفيد من لا يقرأ غير العنوان فائدة مهمة للمسلم عامة وللداعي إلى الله تعالى خاصة (فليس ذلك على الله بعزير).
- 3- لتجنب ما تكلفه أكثر المؤلفين بعد القرون المفضلة من الإسراف في المسجع، مع كراهيته شرعاً ولغة، وما تكلفوه من زخرف القول والمشكل.
- 4- لتقوم مقام التقديم أو التكريض الذي تكلف المتأخرون من المؤلفين استجداءه من العلماء أو كبار طلاب العلم وهو نوع مُمَوّه من تزكية النفس، وهو (مثل المسجع والزخرف) مما التزمه الناس بعد القرون الخيرية.
- 5- وكل ما تضمنته العناوين الأربعة لازم لتحقيق الدعوة على منهاج النبوة: أن تقوم على ما أنزل الله في الكتاب والسنة، وأن تجمع بين الوحي والفقهاء فيه من أهله وتتجنب ما أحدث في القرن الماضي باسم الفكر الإسلامي فإن أكثره أو جلّه أجنبي عن الوحي وعن الفقه فيه من أهله، وأن تبذل الدعوة والدعاء للجميع: الصالح والمطالح والمسلم وغيره، وأن تجمع الدعوة بين بيان الحق ورحمة الخلق، فلا يبخس دين الله بنقص البيان، ولا يبخس عباد الله بنقص العدل، بل توزن الدعوة بهذا الميزان العادل الجامع بين الصدق بالحق (وأهمه الأمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن إشارتك المخلوق مع الخالق في عبادته) أمراً بمعروف ونهياً عن منكر (دون خشية من جهل جاهل)، وبين دعوة الموافق والمخالف بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والدعاء لهم بالهداية، والحكم على أقوالهم وأعمالهم بالظاهر وعدم اتهام نبياتهم.
- وكل رسل الله جاءوا إلى عباده الضالين بالدعوة والدعاء والصبّر على الأذى استجابة لأمر الله تعالى كما في خواتيم سورة النحل. وحكى النبي صلى الله عليه وسلم قصة نبي ضربه قومه فأدموه، فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [متفق عليه].
- وقد نهينا عن الاستغفار للمشرك (ولو انتمى إلى الإسلام) إذا مات على شركه، وقليل ممن يتقرب إلى الله (بدعاء أصحاب المقامات والمزارات والأضرحة والمشاهد والمرقد والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم والذبح والنذر لهم) يتوب من هذا الشرك ويستغفر الله منه، لشيء بهمة المشركين في كل عصر: (ما نعبدهم إلا لئليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: 3]، وشبهة المشركين في كل عصر: (هؤلاء شفعاءؤنا عند الله) [يونس: 18]، هذان الله وإياهم قبل الموت.
- وقال الله تعالى في محكم كتابه: (ما كان لئن بي والذين آمنوا أن يسبوا غفروا لئلمشركين ولولئنا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) [التوبة: 113]، ذكر ابن كثير في تفسيره أنها نزلت في نهي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار لعنه أبي طالب [متفق عليه]، ونقل عن ابن جرير رحمه الله أنها نزلت في نهي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار لأمه (عن العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما)، وروى عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النهي إنما كان عن الاستغفار للمشركين بعد موتهم لا عن الاستغفار للأحياء منهم)، ونقل عن ابن جرير قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتاده رضي الله عنهم: (ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه).

فلا يجوز السكوت على المخطأ، ولا يجوز الاعتداء، وتوكيداً لهذا العنوان الجديد وهذا المعنى المأثور؛ أضفت إلى مَهْدِي نونية القحطاني في هذه المجموعة بضعة أبيات من نونية ابن المقيم رحمهما الله:

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما

بالحق في [العاصين] ناظرتان

فانظر بعين الحكم وارجمهم بها

إذ لا ترد مشيئة اللديان

وانظر بعين [الشرع] واحملهم على

أحكامه فهُما إذا نظران

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم

فالقلب بين أصابع الرحمن

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين، تعاوننا على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان.